جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

مقياس

سسيولوجيا الاتصال التقليدي في الجزائر

دروس على الخط موجهة لطلبة سنة ثانية ماستر علم اجتماع الاتصال

اعداد: الدكتورة **نبار ربيحة**

السنة الجامعية: 2021/2020

المحاضرة الأولى: الثقافة

ظهور مفهوم الثقافة وتطوره

ظهر مفهوم الثقافة بداية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في أوروبا، بهدف تحسين مستوى الأفراد و إصلاحهم، ثم تطور المفهوم إلى تحسين وتعديل مهارات الإنسان الإيجابية، وذلك من خلال التربية والتعليم، وفي منتصف القرن التاسع عشر أصبح مفهوم الثقافة يشير إلى قدرة الإنسان البشرية على مستوى العالم أجمع. في السبعينات من القرن التاسع عشر قدم علماء الأنثروبولوجيا أكثر من تعريف لمفهوم الثقافة، وأجمعوا في الحصلة على انها تتضمن (المعرفة، والمعتقدات، والأخلاق، و القانون، والعادات، والإمكانيات الاجتماعية، واية طبائع اكتسبها الفرد من المجتمع)، ثم تمت تحسينات جديدة على مفهوم الثقافة إلى أن توصل العلماء إلى أنها سلوك تعليمي يتناقض مع السلوك الموهوب من التراث، وفي القرن العشرين أصبح مفهوما أساسيا في علم الأنثروبولوجيا؛ حيث حظى مفهوم الثقافة بمكانة كبيرة في الأندية الأوروبية في ذلك الوقت، وما يزال هذا المفهوم في تطور مستمر ويأخذ أبعادا جديدة لم تكن موجودة من قبل؛ حيث كان الشاعر إليوت من اشهر من اهتم بمفهوم الثقافة في القرن العشرين.

وقد وضع ثلاثة شروط لتحقيق الثقافة، وهي:

1- البناء العضوي، يساعد على الانتقال المتوارث للثقافة داخل مجتمع محدد.
2- القابلية للتحليل؛ حيث يجب أن تكون الثقافة قابلة للتحليل إلى ثقافات محلية، والمقصود بذاك هو البعد الإقليمي للثقافة.
3- التوازن بين الوحدة والتنوع في الدين، ويعتبر هذا الشرط من اهم الشروط الثلاثة؛ حيث إن الكثير من الثقافات لا يمكن أن تهمل جانب الدين.

في نهاية الحرب العالمية الثانية أصبحت لمفهوم الثقافة أهمية كبيرة ولكن بمعاني تختلف عن بعضها البعض، وبرزت أهمية الثقافة في علم الاجتماع، والأبحاث الثقافية، وعلم النفس، وأبحاث الإدارة، وبما

أن كل مجتمع لديه منظومة سلوك تحكمه معايير تختلف من مجتمع لأخر فإن الفرد يتمتع بمنظومة سلوك مجتمعه منذ لحظة ميلاده، ويتطور ذلك السلوك خلال فترة عيشه في المجتمع نفسه، ومع تطور المجتمعات وتحضرها أصبحت الثقافة تتضمن توجهات الأفراد المشتركة مع عالم المعرفة التكنولوجي من وسائل الاتصالات الحديثة مثل الإنترنت وليس فقط وصف لمن له دراية بعالم الموسيقى، والفن، والسياسة، واللغات المختلفة، والمجالات الأخرى .

تعريف الثقافة:

الثقافة في اللغة كما جاء في معجم اللغة العربية المعاصر هي مصدر الفعل ثقف، و هي العلوم والمعارف التي يدركها الفرد، ومجموع ما توصلت إليه أمة أو بلد في مختلف الحقول من أدب وفكر و علم و فن وصناعة بهدف استثارة الذهن.

أما اصطلاحا، فهي الرقي في الأفكار النظرية، ويشمل ذلك الرقي في القانون و الفنون والسياسة والتاريخ والأخلاق والسلوك، والمقصود من مصطلح الثقافة: (العلم الذي يبحث كليات الدين في مختلف شؤون الحياة) فإذا تم وصف دين محدد فذلك يعني الاختصاص بكليات ذلك الدين، مثلا الثقافة الاسلامية تعني: (علم كليات الاسلام في نظم الحياة كلها بترابطها).

يعرف مالك بن نبي الثقافة بانها: مجموعة من الصفقات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه.

ويصف مالينوفسكي الثقافة بأنها أداة فعالة تنقل الإنسان إلى وضع افضل وضع يواكب المشاكل والأطروحات الخاصة التي تواجهه في المجتمع أو في بيئته

أنواع الثقافة

تصنف الثقافة إلى:

1- الثقافية المادية: ويعتبر العنصر البشري في هذا النوع من الثقافات هو العنصر الأساسي في تكوينه، وذلك بإقامة المباني والمنشآت، وتطورات ملموسة.

2- الثقافة اللامادية: وهي عبارة عن العادات والتقاليد والمفاهيم والقيم والاتجاهات والاعتقادات التي تؤمن بها شعوب معينة، ومجتمعات دون غيرها.

وكما يمكن تصنيف الثقافة إلى أنواع أخرى، منها:

- الثقافة السياسية: ويعني هذا النوع بالقضايا المصيرية التي ترتبط بأمور الأشخاص، وخاصة فيما يتعلق بالحريات والطقوس الدينية والمذهبية، وتندرج تحت هذا النوع ثقافة تحفز الأفراد على الاتجاه إلى الإصلاح والتغيير والسعي الدؤوب لتحقيقها، وكما توطد بهم معاني الخلود والتبعية والخوف.
- الثقافية الاجتماعية: وهي ذات العلاقة الوطيدة بالأعراف والعادات والتقاليد التي تعتمد المجتمعات عليها في بناء حياتها لضمان تحقيق حياة كريمة وسعيدة مع رفاهية، من خلال تطبيق قواعد وقوانين خاصة، يتمسك بها الأفراد دون رقابة أو وصاية، ويركز هذا النوع من الثقافة على تلك التي تحث على توجيه الثقافة، لجعل زمام أمور التحكم بيد القيم والمثل النبيلة، وذلك من خلال الترابط والألفة، كما أنها من الممكن أن يكون لها أثر سلبي كدعوة الأفراد إلى التفكك والانعزال والاستسلام للهزيمة.
- الثقافة الإسلامية: تحقق الثقافة الإسلامية التكامل بين الثقافة السياسية والاجتماعية وتعتبر ذات فاعلية عالية في المساهمة في بناء المجتمعات، وكما أنها توحد جهود الأفراد باتجاه واحد، وهي القيم والأخلاق العالية لتحقيق أخلاق الرسالة السامية وتعميق روح المسؤولية لديهم، وترغيبهم في العطاء، وقيادة المجتمعات الفاسدة إلى الصلاح.

أهمية الثقافة

1-تعتبر الثقافة وسيلة للقضاء على الجهل والتخلف.

2-تعد الثقافة من أكثر العوامل تأثيرا في التنمية البشرية.

3-صقل شخصية الفرد وصهرها في بوتقة الثقافة والتنمية.

4-إكساب الفرد التحضر الإنساني والرخاء الفكري.

5-الكشف عن نقاط القوة في المجتمع وتحفيزها وتوجيهها نحو التطور والإصلاح.

6-تساهم في تقويم ودعم الحياة الاجتماعية.

7-الثقافة وسيلة لمواكبة التطورات والتغيرات التي تطرا على حياة الأفراد والمجتمع.

8-زيادة مستوى الوعي الثقافي الفردي.

9-تحفز العنصر البشري على الإيجابية.

مصادر الثقافة:

تعتمد الثقافة على مجموعة من المصدر المهمة، منها

اللغة: هي المصدر الأول والأساسي من مصادر الثقافة عموما ؛ لأن كافة شعوب العالم اعتمدت على لغتها اعتماد مباشر في نقل ثقافتها إلى الشعوب الأخرى.

الفكر الإنساني: وهو كافة المعارف التي أدت إلى تشكيل الثقافة الإنسانية، والتي ساهمت في تميز الشعوب عن بعضها بعضا، لأنها حرصت على بناء فكرٍ ثقافي خاص بكل شعب من شعوب العالم.

خصائص الثقافة

توجد العديد من الخصائص التي تتميز بها الثقافة وهي:

- الثقافة مكتسبة وليست فطرية، بل يتعلمها الافراد من جيل إلى جيل، كما أنها تراكمية، حيث إن عناصر الثقافة تتراكم بانتقالها وتوارثها بين الاجيال.
- الثقافة تشتمل على العناصر المادية والمعنوية، وترتبط هذه العناصر مع بعضها بشكل عضوي، فمثلا النظام السياسي يتأثر بالنظام الاقتصادي، والعكس، ويتأثر النظام التعليمي بالنظامين السابقين، كما أن العادات والتقاليد تؤثر في أنظمة الأسرة مثل الزواج والاحترام المتبادل بين الكبير والصغير، وأي تغير في أحد الانظمة يتبعه تغير في أسلوب المعيشة.
- تنتقل عناصر الثقافة بالاحتكاك بين الأفراد والمجتمعات، ويؤثر المجتمع ذو الثقافة الأقوى والأفضل على المجتمعات الأخرى.
- تعتبر الثقافة من المكتسبات الإنسانية، والتي يحصل عليها الأفراد من البيئة الفكرية التي يوجدون بها.
- يحصل الأفراد على الثقافة باعتبارهم جزءا من المجتمع ؛ فالحياة الاجتماعية لا تنجح في تطبيق أسسها من غير وجود علاقات متبادلة، وتواصل متفاهم يتميز بتعزيز المشاركة بين الأفراد والمجتمع.

- الثقافة مجموعة من الوحدات التي تساهم في ربط صفاتها معا، وتكون هذه الصفات معروفة بين الناس، مثل: اللغة المشتركة، أو استخدام بعض أنواع التعبيرات الخاصة بفئة معينة من الشعوب، أو المحافظة على الخصائص الاجتماعية العامة، مثل: المصافحة كوسيلة من وسائل تقديم التحية للأخرين.

فوائد الثقافة

- تكسب أفراد المجتمع الواحد الشعور بالوحدة، وتنمي لديهم الشعور بالانتماء والولاء، وتتيح لهم العمل دون اضطراب.
- تدعم أفراد المجتمع بالأنماط السلوكية، التي تشبع حاجاتهم البيولوجية من مأكل ومشرب وملبس لتضمن لهم الاستمرار والبقاء، كما تمدهم بالقوانين والأنظمة اللازمة للتعامل مع مواقف الحياة المختلفة دون اضطراب.
- تجعل الفرد يقدر الدور التربوي للثقافة، وذلك بتجربة ثقافات أخرى غير ثقافته وملاحظة الفروقات التي قد تطغى على وجوده.
- تقدم للفرد الحلول المناسبة للمشكلات التي قد تواجهه، وبالتالي توفر عليه الوقت والجهد في البحث عن حلول لمشكلاته.
- تعطي للفرد تفسيرات مألوفة بالنسبة لثقافته، بحيث يحدد سلوكه وطريقة معيشته على ضوء تلك التفسيرات، وتوفر له المعايير اللازمة للتمييز بين الأحداث من حيث صحتها

التغيرات المؤثرة على الثقافة

تتأثر الثقافة عموما بمجموعة من التغيرات وهي:

1-الاتصال بالثقافات الأخرى: والذي ينتج عن أي ارتباط بين المجتمعات مختلفة الثقافة، إذ تأخذ كل ثقافة من صفات وعادات الثقافية الأخرى، وخاصة إذا كانت الصفة الجديدة التي تم اكتشافها مفيدة، وقادرة على الانتشار بين الأفراد بطريقة مناسبة.

2-الاختراع: وهو صنع و ابتداع وسيلة جديدة تساهم في ظهور تغير في الاختراعات الثقافية الإنسانية، مثال ذلك اختراع الطائرات، والسيارات، والسفن، وأجهزة الحاسوب وغيرها من الاختراعات الأخرى.

3-التطور الثقافي: وهو التغير في المجتمع الذي يؤدي إلى ظهور مجموعة من العادات الثقافية الجديدة، مثل: ابتكار انواع وجبات طعام لم تكن معروفة من قبل

عناصر الثقافة

1-القوميات: وهي التي يشترك فيها أغلب أفراد المجتمع الواحد كاللغة – الزي – التحية – أساليب الاحتفال – وهي تحافظ على روح الجماعة.

2-الخصوصيات : الخصوصيات التي تسود بين أفراد مهن وأعمال معينة أو بين أفراد طبقات معينة ويكون لدى بقية أفراد المجتمع فكرة عنها.

3-المتغيرات البديلات: ومن أمثلتها التجديدات والاختراعات التي تظهر في ظل ثقافة معينة فإذا انتشرت اندمجت في خصوصيات الثقافة أو عمومياتها وإذا لم تنتشر فانها تبقى على حالها أو تختفي.

4-العادات : و هي ما اعتاد عليه الفرد وتم توريثه للجماعة، و العادة داخل المجتمع ليست ملزمة أي اذا قام شخص بالتخلف عنها لن يلقي أي من الرفض الاجتماعي والعادات تصنف ضمن الثقافة غير المادية.

5-العمران أو المساكن: و هي تلك الأشياء المادية المكونة بطرق هندسية لكي تشكل بالنهاية بيتا أو مسكن للإنسان، وهي من الثقافة المادية .

6-الأعراف: وهي مجموعة الأفكار الذي تتخذها الجماعة اتجاه شيء معين، وهي قديمة جدا تطورت من التقاليد الملزمة، والاعراف في المجتمع ملزمة والتخلف عنها له عقوبات رسمية، وفي بمثابة المحرمات، وتعتبر من الثقافة غير المادية .

أهمية الثقافة:

- وحدة متكاملة ومتجانسة بين أفراد المجتمع.
- ايجاد التقاطعات والميول والاهتمامات المشتركة بين أفراد المجتمع
- تشكيل الطابع القومي والتراث الذي يميز أبناء المجتمع من غيرهم من المجتمعات.
- تمكين الكيان الاجتماعي ودعم تماسكه.

مظاهر الثقافة:

1-المظاهر الرمزية: وتشكل علوم الحساب، واللغة، والموسيقى.

2-المظاهر المعنوية: وتتمثل بالعناصر الثقافية التي يتم إدراكها بالعقل والفكر مثل العادات والدين.

3-المظاهر النفسية: تتمثل بالمشاعر والتوجهات العاطفية من حب وكراهية للشخوص والأشياء.

4-المظاهر الاجتماعية، وتشكل سلسلة العلاقات بين أفراد المجتمع.

5-المظاهر المادية: تتمثل بالعناصر المادية التي تستخدم الحواس كوسيلة للإدراك مثل وسائل الإنتاج.

كيفية اكتساب الثقافة

يوجد العديد من الطرق التي تساعد على اكتساب الثقافة، ومن تلك الطرق ما يأتي:

- الاهتمام بالثقافة من خلال الاطلاع على أخبار العالم وتاريخه وحضاراته ولغاته، وفهم العلوم السياسية، والتعرف على جغرافية البلدان والمعالم المعروفة.
- قراءة المزيد من الكتب التي تحوي على مواضيع مختلفة، مثل: الأدب، والمسرحيات، والموسيقى، والخيال.
-خلق الثقافة الخاصة عن طريق كتابة الشعر، والقصص القصيرة، والكتب، بالإضافة إلى المسرحيات.
- استخدام الإنترنت للاطلاع على الثقافات السابقة، وقراءة المقالات التي تتواجد على المواقع.
- السفر حول العالم، مما يساعد على الاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى، وزيارة العديد من الأماكن كحديقة الحيوان والمتاحف للحصول على معلومات جديدة.

-التبحر في العلوم الأساسية؛ مثل: الفيزياء، والرياضيات، والكيمياء والعلوم الحياتية.

-الاطلاع على المعلومات الاقتصادية لدول العالم، والتعرف على علم النفس والفلسفة، الاهتمام بالفن والعمارة، حيث يعد الفن لغة عالمية أيضا والنحت والرسم والرقص.

المحاضرة2: تعريف الثقافة الجزائرية

الثقافة الجزائرية

تنقسم الثقافة الجزائرية إلى حقلين كبيرين، أو فترتين، الفترة التقليدية، والفترة الحديثة.

- الفترة التقليدية: فهي تلك التي تتمثل في الثقافة الموروثة من الماضي، أو ما تسمى التراث، وهذه الفترة تتكون من الأجزاء التالية:
  - الدين: يشمل كل المعتقدات والعبادات.
  - الموروث المكتوب: يشمل كافة المؤلفات الأدبية، والدينية، والرحلات التاريخية، والتاريخ المكتوب.
  - الموروث المادي: يشمل العمران القديم، والزخارف التراثية، والأعمال اليدوية، والمساجد، والقصور، والقلاع.
  - الموروث الرمزي: وشمل الشعر، والقصص، والغناء الفلكلوري، والألعاب، والحكايات.
- الفترة الحديثة: هي تلك الثقافة التي أنتجت حديثا، نتيجة لاحتكاك الثقافة والحضارة الجزائرية بالحضارات الحديثة الأخرى، وتحديدا الحضارات الغربية، وعرفت هذه الفترة المسرح. السينما، الفنون التشكيلية. الرواية والقصة. الأوبرا. يضاف إلى ذلك، التحديثات الواضحة لبعض المجالات في الثقافة الجزائرية، كما حدث مع الشعر، إذ انتقل من الشعر العمودي إلى الشعر الحر، وتم تحديث الرقص الفلكلوري إلى الباليه، مما يجعل الثقافة الجزائرية خليطا وتركيبا من ثقافة وموروثا قديم وحداثة الحضارات الحديثة، مع العلم أن هذه التركيبة ليست حكرا على الثقافة الجزائرية، فجميع الثقافات هي مزيج من موروث قديم ومكونات حديثة .

أحدثت بعض التغييرات والتحديثات في الموروث الثقافي الجزائري، حتى أن الكثير من التحديثات أدت إلى إلغاء بعض المكونات والعادات التراثية القديمة، فعلى سبيل المثال، كانت النساء الجزائريات في الماضي يغنين بعض الأغنيات التراثية الخاصة ببعض المناسبات، كالختان، والزواج، والحج، ولكن ما لبثت هذه العادة أن تغيرت بفضل التغيرات التكنولوجية الحديثة التي طرأت، والتي جعلت وسائط متعددة وغيرها تحل محل هذه العادة التقليدية القديمة، كما أن ظهور التلفاز، ووسائل العرض الحديثة المختلفة، قد ألغى ظاهرة الحكواتي(الاحجيات)، وسرد القصص، وغيرها. ومن المظاهر التراثية الأخرى التي لم تستمر، ولم يستمر إنتاجها، هو الطابع الإسلامي في العمران الجزائري، حيث إن هذا العمران توقف عند ما نشاهده من قصور، ومساجد، وغيرها من هذا العمران، حيث أنه بالنظر إلى العمران الحالي، نجده خال من الإبداع، ومن اللمسة العمرانية القديمة، ولم تسلم الرقصات التراثية الدينية منها والفلكلورية من الحداثة التي أدت إلى إيقافها، فعلى سبيل المثال كان منتشرة في الثقافة الجزائرية القديمة رقصة العبداوي وكانت تقام على شرف أحد الاولياء في منطقة الاوراس، وقد توقفت هذه الرقصة الان، ومن الرقصات الجزائرية الاخرى التي توقفت هي رقصة (القرقابو) التي كان يمارسها أهل الجنوب غرب الجزائر حيث توقفت هذه الرقصة ولم يعد أحد يمارسها، أما بالنسبة لرقصة (التوارق) فهي كانت رقصة الحرب، والقتال، وكانت ترمز الى حمية القبيلة، و اقتراب القتال، وقد اندثرت هذه الرقصة أيضا بفعل الحداثة التي أصابت الثقافة الجزائرية.

وبالنسبة للمجتمع الجزائري الأمازيغي فتمتاز الثقافة الأمازيغية بعدة ميزات، أهمها:

-تحتوي على أقدم المعالم الثقافية الجزائرية.

-تعتبر ثقافة شفوية أكثر.

-تحاول الانفصال عن الثقافة العربية، والاستقلال كثافة مستقلة.

-إن دخول الإسلام إلى أرض الجزائر، هو الذي أعطاها الطابع العربي، ومن العوامل التي أعطت الجزائر طابعها العربي هو زحف قبيلة بني هلال العربية إلى أرض الجزائر في القرن الحادي عشر ميلادي، ولكن قد كان للاستعمار الفرنسي أثره الواضح في إحداث الخلل في اللغة العربية في الجزائر، والذي جعل الكثير من المنتوجات الفكرية الجزائرية مكتوبة بالفرنسية نتيجة الغزو اللغوي الفرنسي.

– الإسلام هو العنصر المشترك بين الأمازيغية و العربية، فالإسلام يعتبر هو المرجع الديني في التراث الجزائري، في الشعر، والحكايات، والعديد من الإنتاجات الأدبية الجزائرية، ولكن هذا كله لا يعطي الثقافة الجزائرية اسم الثقافة الإسلامية؛ لأن الثقافة الجزائرية حالها حال أي ثقافة في العالم، تشمل الرقص والغناء و غيرها من المظاهر والعادات التي لا يمكن أن ننسبها بالأساس إلى الإسلام.

حقول الثقافة الجزائرية

- المسرح والسينما: كان من أهم الإنجازات على الصعيد السنيمائي في الجزائر ما يلي: إنشاء مركز وطني للسينما.
- طرح تخصصات السينما في المعهد الوطني للفنون الدرامية.
- تطوير الإنتاج السينماتوغرافي (الموسيقي) ومن الخطوات التشجيعية في مجال الموسيقى كان ما يلي:
- طرح تعليم الموسيقى في المدارس
- إنشاء العديد من المعاهد الموسيقية في مختلف أنحاء الجزائر.
- التراث الثقافي العام: إذ تم إنشاء عدة مراكز ضمن حفظ التراث الثقافي الجزائري وهي:
- إنشاء ديوان تسيير الممتلكات الثقافية،– إنشاء المركز الوطني لأبحاث الأثار ،– إنشاء المركز الوطني لحفظ الممتلكات الثقافية،– إنشاء المركز الوطني للمخطوطات.

الثقافة في الجزائر

لا يختلف المجتمع الجزائري بشكل كبير عن المجتمع الإسلامي، لكن في الوقت الحالي أصبحت الثقافة الجزائرية أكثر تطورا وانفتاحا، فتفضل فئة الشباب في الجزائر استخدام الإنترنت، والمشاركة في الكثير من المنتديات الإلكترونية، كما ان نسبة المطالعة وقراءة الصحف ما زالت متوسطة ولم تتدنى كثيرا.

الأدب الجزائري: نشأ العديد من الكتاب المشهورين في الجزائر، الذين لهم دور كبير في النهضة الأدبية، وكما حازوا على جوائز نوبل، مثل الكاتب هنري قربع الجزائري، والكاتبة آسيا جبار، أحلام مستغانمي وفضيلة الفاروق ومفدي زكريا.....

الفنون: للفنون دور كبير في بناء الحضارة الجزائرية؛ فنشأت العديد من الفنون على أرض الجزائر؛ كالفنون القديمة التراثية وصناعة التحف والفن المعماري وقد دخلت قائمة التراث العربي والعالمي العديد من الآثار القديمة كقلعة بني حماد ووادي مزاب ، والعديد من المتاحف المنتشرة والتي توجد بها العديد من التماثيل الرومانية القديمة، وتماثيل الرجال السياسيين و الفسيفساء، وما زال الفن منتشرا حديثا في الرسم وصناعة الحلي التقليدية والملابس وصناعة النحاس. **اللباس الجزائري:** يرتدي الكبار في السن اللباس التقليدي إلى يومنا هذا، كالقشابية و البرنوس، وخاصة في المناطق الداخلية، والنساء يرتدين الحايك الابيض أو الملاية السوداء في منطقة الشرق، وبعض الفتيات يفضلن ارتداء الحجاب العادي مع اللباس المعاصر، وفي المدن الكبيرة يرتدي الكبار الطربوش أو طاقية الراس والعمامة.

المطبخ الجزائري: وهو مطبخ عريق له طابعه الخاص، فإلى يومنا هذا يضع الشعب الجزائري على المائدة الأطباق التقليدية ويفضلونها كطبق الكسكسي ويقدم خاصة في الأفراح والأقراح ، ومن الحلويات التقليدية : البقلاوة والغريبية والقطايف.

الموسيقى: تأخذ الموسيقى حيزا كبيرا من الثقافة الجزائرية، مثل الطابع الشعبي، والغناوي (وهو من الموسيقى السودانية القديمة) والنوع الصوفي والوجدي و التيندي.

محاضرة3 :الاتصال التقليدي والموروث الثقافي

التراث الثقافي:

هو ميراث المقتنيات المادية وغير المادية التي تخص مجموعة ما أو مجتمع لديه موروثات من الأجيال السابقة، وظلت باقية حتى الوقت الحاضر ووهبت للأجيال المقبلة.

مصطلح (التراث الثقافي) في مضمونه شهد تغيرا كبيرا في العقود الأخيرة من طرف منظمة اليونسكو، ويرجع ذلك جزئيا إلى الصكوك التي وضعتها اليونسكو. ولا يقتصر التراث الثقافي على المعالم التاريخية ومجموعات القطع الفنية والأثرية، وإنما يشمل أيضا التقاليد أو أشكال التعبير الحية

الموروثة من اسلافنا والتي تداولتها الأجيال الواحدة تلو الأخرى وصولا إلينا، مثل التقاليد الشفهية، والفنون الاستعراضية، والممارسات الاجتماعية، والطقوس، والمناسبات الاحتفالية، والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، والمعارف والمهارات وإنتاج الصناعات الحرفية التقليدية.

أ- **التراث الثقافي غير الملموس (غير المادي)** : يشمل هذا النوع من التراث الثقافي العناصر غير المادية، والتي تشمل التقاليد، والتاريخ الشفهي، والممارسات الاجتماعية، والطقوس، والمعرفة والمهارات المنقولة من جيل إلى جيل داخل مجتمع معين، ويشمل التراث غير المادي أو غير الملموس مجموعة مذهلة من التقاليد والموسيقى، والرقص.

تعريف اليونسكو للتراث الثقافي الغير مادي:

تعرّف اتفاقية اليونسكو لسنة 2003 التراث الثقافي غير المادي بكونه الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات، وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، التي تعتبرها المجموعات وأحيانا الأفراد جزء من تراثها الثقافي.
وعلى ضوء التعريف السابق يتجلى "التراث الثقافي غير المادي" بصفة خاصة في المجالات التالية:

- التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي.
- فنون وتقاليد أداء العروض.
- الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.
- المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون.
- المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.
- ويشمل التراث غير المادي على سبيل المثال لا الحصر المهرجانات التقليدية والتقاليد الشفهية والملاحم، والعادات، وأساليب المعيشة.

ويشكل التراث الثقافي غير المادي، رغم عامل الهشاشة، ركيزة مهمة في الحفاظ على التنوع والتراث الثقافي في عصر العولمة ففي فهم التراث الثقافي غير المادي للمجتمعات المحلية المختلفة فإنه يساعد على الحوار بين الثقافات ويشجع على الاحترام المتبادل لطريقة عيش الآخر.

ب- **التراث الثقافي الملموس:** هو تعبير عن طرق المعيشة التي طورها المجتمع وانتقلت من جيل إلى جيل، والتي تشمل الأماكن، والأشياء، والعادات، والممارسات والتعبيرات، والقيم الفنية، كما أنه إرث من التحف المادية، لمجموعة أو مجتمع موروثة من الأجيال السابقة، والتي يتم الحفاظ عليها في الحاضر لبقائها للأجيال القادمة.

ويشمل هذا النوع من التراث الثقافي القطع الأثرية، والتي تشمل اللوحات، والرسومات، والمطبوعات، والفسيفساء، والمنحوتات، والمعالم التاريخية، والمباني، والمواقع الأثرية الأخرى، وجميع الأدلة والتعابير البشرية، مثل: الصور، والوثائق، والكتب، والمخطوطات، والأدوات، سواء كانت فردية أو جماعية.

الثقافة والإرث الحضاري

قد عرفت الجزائر الحضارة منذ القدم وبمختلف عصور الحضارة الإنسانية، فقد عثر على بقايا و آثار نشاط إنساني تعود إلى نحو 7000 عام ق.م واحتكت بعدة حضارات سجلها التاريخ، كالحضارة الفينيقية ثم عرفت الجزائر في القرن السابع ق.م الحكم القرطاجي المحلي المنبثق عن الرحالة الفينيقيين، إلى أن احتلها الرومان سنة 42 ق.م وعام 682م، ثم جاءت العصور الإسلامية المتوالية، بين الفاطميون وبني عبد الواد والحفصيين وفي سنة 1518 خضعت لحكم الخلافة العثمانية، إلى أن جاء الاستعمار الفرنسي في العصر الحديث عام 1830م، ثم توالت مقاومة الجزائريين إلى أن اندلعت ثورة الجزائر في الأول من نوفمبر 1954م، ونيل الاستقلال سنة 1962.وانضمت الجزائر في نفس العام لجامعة الدول العربية ومنظمة الأمم المتحدة. وعموما يمكن القول أن الحضارة في الجزائر هي متداخلة إلى حد ما مع دول المغرب العربي المجاورة، وقد تأثرت الثقافة الجزائرية على مر العصور بعدة عوامل:

- الجوار اذ تأثرت الثقافة بالحضارات المجاورة.
- التراث الإسلامي.
- إفريقيا والعالم العربي والأندلس، اليهودية المغاربية.
- الانفتاح على العالم وثورة الاتصالات.
- الاستعمار الفرنسي

وهذه العوامل ساعدت الجزائر على إيجاد موضوعات ثقافية ذات صبغة تراثية عالمية، سواء المادي منه او غير المادي.

و سجلت الجزائر إلى حدود معطيات أكتوبر سنة 2015 لمنظمة اليونسكو خمسة نقاط ثقافية لامادية ضمن لائحة اليونسكو للتراث العالمي الثقافي غير المادي وهي:

– أهليل قورارة التقليدي والعادات المرتبطة به ،والزاوية الشيخية والمراسيم المتعلقة بها ،والممارسات والمهارات والمعرفة المرتبطة بمجموعات إمزاد عند الطوارق ،وعادات وطقوس و مراسم السبيبة في واحة جانت بالجزائر، والعادات والمهارات الحرفية المرتبطة بزي الزفاف التلمساني.

*أهليل قورارة: يكتب أيضا "أهليل غرارة": هو تراث شعري و غنائي من منطقة قورارة الواحية الجزائرية ،كان هذا النوع من الغناء منتشرا في منطقة (تميمون) وما جاورها، منذ القديم، وكان يعرف قبل الإسلام باسم (أزنون) ليحمل بعده الاسم الحالي أهليل ويرى البعض أن هذه التسمية مشتقة من "أهل الليل" باعتبار أن هذا الغناء يدي في الليل، بينما ربطها البعض الآخر بالهلال ،ويذهب آخرون إلى أن الكلمة جاءت من التهليل لله ومن عبارة "لا إله إلا الله" والأهليل هو عبارة عن نوع من الغناء الموروث بالصحراء الجزائرية تتناول كلماته المغناة سير الصحابة والأولياء الصالحين وهو ما جعل أحد المختصين بعتبره من الغذاء الصوفي المستلهم من الطريقتين "التيجانية" و "القادرية" المنتشرتين في الجزائر والمغرب العربي.

*تم تصنيف العادات الصوفية المتعلقة بالزاوية الشيخية ضمن قائمة "روائع التراث الشفهي اللامادي للإنسانية" في الجزائر بعد تقديم الملف من طرف الجزائر ودراسته ثم المصادقة عليه من طرف لجنة منظمة اليونسكو للتراث العالمي سنة 2008 وقد عرفت هذه الزاوية إشعاعا روحيا في فترات من الزمن، وكانت مقصد طلاب الروحانيات والتربية الذوقية، وتسعى إلى المحافظة على التراث وتعزيز القيم المجتمعية مثل حسن الضيافة والممارسات الجماعية كالتسابيح، وتلاوة القرآن الكريم والأغاني والرقصات التقليدية و الفلكلورية ولا سيما المبارزات ومسابقات الفروسية.

* تم إدراج ألة إمزاد وما يتعلق بها من مهارات ضمن لائحة التراث العالمي الثقافي اللامادي للإنسانية تحت عنوان: الممارسات والمهارات

تم إدراج ألة إمزاد وما يتعلق بها من مهارات ضمن لائحة التراث العالمي الثقافي اللامادي للإنسانية تحت عنوان: الممارسات والمهارات والمعرفة المرتبطة بمجموعات بمزاد عند الطوارق، وتحولت ألة إمزاد إلى رمز موسيقي امزاد، حيث ارتبطت موسيقى إمزاد بالة إمزاد ارتباطا جوهريا وثيقا، وقد اعتمدتها اليونيسكو ارثا ثقافيا إنسانيا عالميا، كموسيقى طوارقية بامتياز، حيث تشكل موسيقى الإمزاد وآلتها الموسيقية إحدى مميزات قبائل الطوارق، وتعزفها النساء على الة موسيقية أحادية الوتر تعرف بالإمزاد. وتجلس العازفة وتضع الالة على ركبتيها وتعزف عليها باستخدام قوس، وتوفر ألة الإمزاد أنغاما مصاحبة للأشعار أو الأغاني الشعبية التي غالبا ما يؤديها الرجال في المناسبات الاحتفالية في مخيمات الطوارق. و غالبا ما تعرف هذه الموسيقى حسب الاعتقاد القديم لإبعاد الأرواح الشريرة، وتخفيف آلام المرضى النفسيين. وتنقل خبرات صناعة الإمزاد من جيل إلى جيل.

*عادات وطقوس ومراسم السبيبة: هو احتفال تقليدي سنوي يقام بمدينة جانت الجزائرية، وتعتبر تقليدا تراثيا، من أهم المناسبات المحلية العريقة التي تحتفل بها طوارق الصحراء بالجنوب الجزائري، الذي يصادف كل سنة اليوم العاشر من محرم في التقويم الهجري، حيث ترمز هذه المناسبة إلى السلم المدني والسلام والالتحام الاجتماعي، وتعود الاحتفالات إلى قرون عندما تعاقدت قبائل الطوارق في الجنوب الجزائري على الصلح والسلام بين سكان القصرين العتيقين "ازلواز" و "الميهان" وإلى جانب رمزية السلام والالتحام بين قبائل الطوارق، يرى باحثون متخصصون، أن الرقصة تعبر عن حالة من السعادة عندما استطاعت قبيلة الطوارق "آجر" الإنتصار في معركة حاسمة عند تعرضها لخطر تهديدات فرعون مصر.

* العادات والمهارات الحرفية: تم ادراج العادات والتقاليد والمهارات الحرفية المرتبطة بزي الزفاف التقليدي التلمساني، في قائمة اليونسكو للتراث العالمي اللامادي سنة 2012، وهي عادات تقضي بأن ترتدي العروس بحضور أهلها وصديقاتها المدعوات فستانا تقليديا من الحرير الذهبي اللون، وتزين يداها بأنواع مختلفة من نقوش الحناء كتعبير عن الفرح، ثم تأتي امرأة أكبر سن غالبا ما تكون إحدى قريباتها لتساعدها على ارتداء قفطان مخملي مطرز بشكل فني وجمالي وعلى وضع الحلى و تاج مخروطي، وهذه المهارات الحرفية في صناعة هذا النوع من الأزياء الجميلة المرتبطة بزي الزفاف التلمساني المميز والعادات المرتبطة به نقلت من جيل إلى أخر.

ويرى المهتمون بالتراث العالمي للباس التقليدي، أنه لباس تراثي جميل يجمع بين عدة حضارات، فالبلوزة أصلها من الحضارة العربية، والفوطة من الحضارة الأمازيغية، والقفطان من الحضارة العثمانية بينما الشاشية مستمدة من الحضارة الأندلسية.

حماية التراث الثقافي:

ويدل الحفاظ على التراث اعتراف ضمني بأهمية الماضي، والدلالات التي تسرد قصته، كما يؤكد صحة الذكريات، وصلاحية المادة المكتشفة، بدلا من استنساخها أو استبدالها، توجيه الناس ودلهم على الطريق السليم للتواصل مع الماضي، وللأسف هناك خطرا على الأماكن والأشياء التي تضررت من أيدي السياح، والإضاءة اللازمة لعرضها، وغيرها من المخاطر التي تحيط بمتطلبات التعريف وعرض التراث الأثري. مثل هذا الخطر الذي يتعرض لجميع الأعمال الفنية في حالة دائمة من التحول الكيميائي، بحيث أن ما نعتبره مصونا هو بالفعل في حالة تغير دائم – أي أنه لا يبقى على حالته السابقة.

ومن الضروري اتخاذ التدابير الرامية إلى ضمان استدامة التراث الثقافي غير المادي، بما في ذلك تحديد هذا التراث وتوثيقه وإجراء البحوث بشأنه والمحافظة عليه وحمايته وتعزيزه و ابرازه ونقله، لا سيما عن طريق التعليم النظامي و غير النظامي، وإحياء مختلف جوانب هذا التراث. ويعتبر الحفاظ على التراث غير المادي هو حماية الهويات الثقافية، وبالتالي التنوع الثقافي للبشرية، وأن لم يحصل هذا النمط الهش من التراث بشكل خاص على الرعاية الدائمة بشكل كاف سيتعرض لتهديد الانقراض. وقد أقر المؤتمر العام لليونسكو في دورته السابعة عشرة بباريس في 16 من نوفمبر 1972 على الاتفاقية المتعلقة بحماية التراث العالمي الثقافي، وقد صادقت الجزائر على هذه الاتفاقية وانتخبت عضوا في لجنة التراث العالمي في السابع من نوفمبر سنة 2011.

يتم حماية جميع التراث الثقافي في جميع أنحاء العالم من خلال قوانين وطنية، ومعاهدات دولية، خاصة عمليات المتاجرة غير المشروعة بالقطع الأثرية، والأشياء الثقافية، ونهب المواقع الأثرية، وتدمير المباني التاريخية والمعالم، والتي تتسبب في إلحاق ضرر لا يمكن إصلاحه بالتراث الثقافي للبلد ما، حيث قامت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) بإعتماد اتفاقيات دولية تتعلق بحماية

التراث الثقافي، لتعزيز التفاهم بين الثقافات مع التشديد على أهمية التعاون الدولي، كما ويجب مراقبة المناطق المعرضة للخطر من أجل تقديم التوعية حول النزاعات، ومنع الكوارث التي تتسبب في الحاق الضرر بالتراث، كما ويمكن للحروب والاحتلال أن تشكل خطرا على التراث الثقافي في بلد ما، كما ويعمل الاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات مع اليونيسكو واللجنة الدولية لمنع حدوث أي خطر أو أذى للتراث المادي، كما وتعمل على مراقبة مناطق الكوارث في جميع أنحاء العالم، والمساعدة في الحفاظ عليها، وإعادة إعمارها في حال حدوث اي كوارث طبيعية، أو غير طبيعية.

وترتكز استراتيجية اليونسكو على:

- مساعدة الدول الأقل نموا والدول التي تجتاز حالة طوارئ (ما بعد النزاع او ما بعد الكوارث الطبيعية)، لا سيما في أفريقيا.
- المتاحف والمجموعات التي تقدم المساهمة الكبيرة في فهم متكامل للتراث.
- المساهمة في دفع عجلة التطور الاقتصادي والاجتماعي والبشري للمجتمعات المحلية والجماعات المحرومة.

ويتم تنفيذ هذه الاستراتيجية من خلال:

- تنظيم نشاطات تدريبية تعتمد على تقنيات بسيطة وفعالة لحفظ الممتلكات، مع إيلاء اهتمام خاص بإنشاء الأدوات التعليمية.
- تطوير المتاحف عبر تعزيز الشبكات والشراكات المهنية؛
- تحسين المحتوى التربوي والنفاذ إلى المعرفة عبر نشر الوعي وإطلاق النشاطات التربوية.
- تعزيز طرق النفاذ الى الممتلكات الثقافية عبر نشر التوعية وإطلاق النشاطات الاستشارية والشراكات الابتكارية.
- التنفيذ المشترك للنشاطات التشغيلية والمعيارية، لا سيما لجهة مكافحة الاتجار غير المشروع بالتراث.

<u>محاضرة 5: الممارسات اللغوية في الجزائر</u>

تعد اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الجزائر منذ دستور 1963 بالإضافة إلى اللغة الأمازيغية . فالعربية و الأمازيغية ينطقها حوالي 99% من الجزائريين أما اللغة الفرنسية فهي تستخدم على نطاق واسع في الدولة الجزائرية، كالمجالات الثقافية و الإعلام والتعليم في الجامعات، و ذلك على خلفية الاستعمار الفرنسي للجزائر، فالفرنسية تعد لغة شبه رسمية في الجزائر رغم عدم وجود ذكر لها في أي من المناشير الرسمية للدولة.

حسب آراء الباحثين «ان اللغة التي يتم التحدث بها في البيت، و الشارع هي خليط بين اللهجة الجزائرية و الكلمات الفرنسية» وعليه فإن الحالة اللغوية في الجزائر مرتبطة بسياقات ومراكز اجتماعية كثيرة نتيجة لتعدد اللغات و الصعوبة التي تتضمنها .

عند استقلال الجزائر عام 1962 وتأميم الإذاعة والتلفزيون، أتبعت سياسة لغوية في البرامج والمسرحيات و المسلسلات – سواء الإذاعية أو التلفزيونية– تقوم على استخدام لغة دارجة مفصحة، كردة فعل على قرن وثلاثين سنة من السياسة الفرنسية وطمس الهوية الجزائرية.

اللهجة الدارجة في الجزائر غنية ومختلطة، خاصة في الساحل، فالجزائر تعرضت عبر تاريخها لأكثر من احتلال من الرومان إلى الفرنسيين وما بينهما خلال قرون عديدة، لذلك نجد في الجزائرية، كما في اللهجات المغاربية التي تتقاطع معها، كلمات تركية، و إسبانية و إيطالية، وعبرية، وفرنسية، كل هذه اللغات تركت أثرها في اللغة الجزائرية، التي تعكس التعدد الثقافي للبلاد.

لكن عكس تونس والمغرب، نجد أن الدارجة الجزائرية تعتبر من قبل السلطة ومؤسساتها لغة يرفض استعمالها في الأطر "الرسمية"، ويستحيل أن نرى على التلفاز الرسمي في الجزائر، على عكس تونس والمغرب، نشرة أخبار بالدارجة.

المحاضرة 6: الممارسات الاحتفالية في الجزائر

تتعدد العادات و التقاليد العائلية المحلية وقد مست كل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية و السياسية والفكرية من شعر، غناء، رقص، لباس، طبخ، اعياد، حفلات، فن، زخرفة، نحت، حرف، أعراف... فهي ممارسات أنتجها الوجدان الشعبي تلبية لرغباته المعاشة، فظلت حية بحياته، تتحرك بحركاته على مدى تاريخه الثقافي والاجتماعي والسياسي و الاقتصادي المحلي، بكل ما

تمتاز به و ما تحمله بين طياتها من عراقة و أصالة وواقعية ولقد ظلت العائلة المحلية محافظة على عاداتها وتقاليدها، تحياها وتعيشها بدون انقطاع، و ما قد يسجل من حين إلى آخر من عادات وتقاليد جديدة في الفضاء المحلي، فإن أغلبها لم يقتحم هذا الفضاء بصمت، بل بصراعات نفسية و اجتماعية و ثقافية عنيفة أدت إلى درجة التطاحن والعداوة والانقسامات الفكرية و الثقافية و حتى الإيديولوجية، وقد نتج عن هذا التداخل ظهور عادات و تقاليد لدى العائلة المحلية لا هي تقاليد و عادات بالية، ولا هي تقاليد وعادات يعتمد عليها الناس ، يتمسك الناس بقسم منها ويتخلون عن أقسام أخرى، ينسخون منها نسخا ويحورون بعضها الآخر.

إن الممارسات اليومية تكتشف بوضوح هذه الازدواجية التي قسمت كيان العائلة الواحدة إلى كيانات مختلفة، حيث أن كل كيان يعمل على إبراز نمطه المفضل متسترا وراء شعارات مختلفة.

فالكيان الأول، يدعي الأصالة و التراث و الهوية والانتماء وفي اعتقاده لا يتحقق كل ذلك إلا بالتمسك القوي بالعادات والتقاليد الأصلية و المحلية و ممارستها ممارسة حقيقية حسب متطلبات الأحداث لأن العادات و التقاليد والأعراف هي حالات معنوية ذات علاقة روحية عميقة الجذور بنفسيات الناس وقيمهم الثقافية و الاجتماعية، فهي ساكنة في ضمائرهم و منعكسة في أساليب سلوكهم فالعادات و التقاليد ليست إشارة على الماضي و ليست زائرا وافدا من بيئة أخرى، إنها تنتمي إلى المجتمع الذي تتفاعل معه ويستفيد منها، و إلى اللحظة التي تحقق بها وظيفة حيوية وإنسانية من وظائفها الكثيرة ، فهي ليست عائقا من عوائق التقدم.

أما الكبان الثاني، فإنه يدعي العصرنة و الحداثة والتجديد، وفي اعتقاده أن هذه العادات و التقاليد بالية وقديمة، و لم تعد تلبي متطلبات العصر الجديد، كما أنها تعرقل نشاط الفرد، وتقف حاجزا أمام كل مبادراتها للانطلاق نحو آفاق جديدة مغايرة.

إن هذا الكيان بري في النمط الجديد نموذجه الإيجابي وبالتالي يعمل جاهدا من أجل تبنية و العمل على تطبيقه وممارسته على أرض الواقع المحلي، كما يعتبر في رؤيته الفكرية والإيديولوجية أن الحديث عن العادات و التقاليد الأصلية حديث ماضوي تراثي.

يعتبر الاحتفال بالأعياد من القيم الثابتة للحياة الاجتماعية المحلية حيث أن "للعيد نكهة خاصة يدعو الناس إلى التوقف عن العمل والقيام بأعمال غير مجدية على الصعيد المادي، العيد يدفع الناس إلى التمتع بالحياة والاحتفال بالعلاقات الاجتماعية خارج إطار العلاقات الاقتصادية، لذلك فالشحنة المعنوية التي يتمتع بها العيد حاجة إنسانية يشعر الناس عفويا بضرورة التمسك بها.

إن ظاهرة الاحتفال بالأعياد وتخليدها تعد محطة اجتماعية ونفسية و ثقافية ضرورية في حياة العائلة الجزائرية التي تعلن من خلالها انتماءها الديني العقائدي، لأن أغلب هذه الأعياد طبعت العائلة نفسها بطابع دين مقدس.

إن محافظة العائلة الجزائرية على الظاهرة الاحتفالية بالأعياد ماضيا وحاضرا والإصرار عليها مرتبطة في أبعادها الاجتماعية والثقافية بمرجعية دينية و ذلك لما يصاحب هذه الممارسة من أعمال خيرية اجتماعية جماعية، فالاحتفال فرصة للقاء و التقارب و التماسك الاجتماعي من جهة، ومن جهة أخرى فرصة لإثبات الذات الجماعية و إثبات الهوية الثقافية.

إن الحديث عن العائلة و الظاهرة الاحتفالية بالعيد، يتعدي في حقيقة الأمر الجرد الإحصائي لكل الأعياد وما يصاحب كل عيد من تحضيرات مادية و معنوية كالطبخ الخاص فكل عيد تخصص له مأكولات واطباق خاصة، و كذا اللباس التقليدي حيث أنه لكل مناسبة لباس خاص بها.

ورغم الصعوبات المادية والمالية من جهة ورغم دخول ممارسات احتفالية جديدة في ثقافتها فقد ظلت العائلة تمارس احتفاليتها مكيفة ماضيها بحاضرها بكل ما يحمله من دلالات دينية واجتماعية وثقافية ونفسية، لأن العيد يصبح مناسبة اجتماعية ومرآة تنعكس فيها طموحات واماني المجتمع، يبقى الإعتبار الديني قائما، ولكن هم المحتفلين بالعيد يتبلور حول قضايا اجتماعية وليس حول قضايا روحانية هنا يصبح لكل عيد معنى اجتماعيا مميزا، و كأن الأعياد تأتي لتشد اواصر هذه العائلة، ففي العيد تجتمع العائلة، تشرب وتأكل، تجمع صغارها بكبارها في إطار بروتوكول معين من الزيارات، و للعيد كذلك معان اجتماعية كالتضامن من الجماعة.

<u>محاضرة 7: الممارسات الطبية التقليدية</u>

الممارسات العلاجية التقليدية أو الطب الشعبي وما ينجر عنه من مفاهيم ومعتقدات وممارسات متداولة في حياة الناس اليومية صيغت حوله خطابات كثيرة ومتنوعة مما أدى إلى ترسيخها في الخيال الجمعي للناس وبالتالي فالمرض والصحة مجالان للتعبير عن المعتقدات والقيم السائدة وهو ما يمكن أن نعتبره "معرفة اجتماعية" تتضمن تفسيرات مختلفة حول جانب مهم من حياة الإنسان الأمر الذي دفع بالبعض إلى الحكم على أن لا فائدة من اللجوء إلى الطب الحديث أو الرسمي، لأن الحلول المجدية موجودة لدى المطببين الشعبيين (العشابين، الطلبة، الرقاة، السحرة، الأولياء ،المرابطين..) فهم القادرون على علاج الأمراض العضوية والنفسية التي تتسبب فيها كائنات خفية كالجن والعين و السحر.... ولهذا ففي أشكال الطب الشعبي تظهر أنماط الثقافة المحلية إضافة إلى ذلك فإن المعتقدات الدينية والشعبية المتوارثة عن الأجداد والتي تتعلق بلجوء الإنسان إلى الطبيب الشعبي تتحدد في ضوء مجموعة من الاعتبارات منها رؤية الإنسان للحياة والموت وتأثير الموجودات الطبيعية وفوق الطبيعية عليه، ومن هنا فالخطابات الرائجة حول الممارسات العلاجية التقليدية هي خطابات اجتماعية تفرضها ثقافة معينة تتجسد في أشكال الصراع وأساليب الوقاية والمقاومة والمسارات التي يملكها الناس على اختلاف مستوياتهم تلمسا وطلبا للشفاء.

ففي جميع دول العالم تتم ممارسة الطب الشعبي على اختلاف ثقافاتها، حيث تشير دراسات منظمة الصحة العالمية إلى أنه يجب الاهتمام بالطب الشعبي لأسباب كثيرة منها:

– إيمان نسبة كبيرة من أفراد المجتمع بفائدتها، كما توجد جهات حكومية مسؤولة عن الطب الشعبي في العديد من البلدان النامية لكونها تواجه صعوبة في توفير الرعاية الصحية للسكان الذين يعيشون في المناطق الريفية النائية مما فسح المجال ليتولى الممارسون الشعبيون الرعاية الصحية لهؤلاء السكان.

أما في العالم العربي والإسلامي نجد أن الطب الشعبي مرتبط بما يعرف بـ "الطب النبوي" وهو مجموع ما ثبت في هدي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في الطب أو الأساليب الوقائية والعلاجية لمختلف الأمراض الروحية الذي تطبب به ووصفها لغيره، ومن أشكال هذا الطب التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية، والحجامة والكي والرقية وغيرها.

الجزائر كبلد عربي إسلامي لم يشذ ولم يبتعد عما هو سائد في العالم ككل والعالم العربي الإسلامي خصوصا ذلك أننا نجد أن هناك أشكالا للعلاج بالطب الشعبي منتشرة في مناطق متعددة والتي منها منطقة الزيبان (بسكرة)، التي تمارس فيها أشكال من العلاجات الشعبية سواء تعلق الأمر بالعلاجات ذات الطابع المادي أو الطبيعي (الكي، الحجامة والتجبير والأعشاب الطبية) أو الغيبية مثل (كتابة الأحجبة وزيارة أضرحة الأولياء الصالحين)، وكلها طرق تقليدية متوارثة منذ القدم، هذه الظاهرة تدفع إلى البحث عن مكوناتها والياتها و اسباب استمرارها وانتشارها رغم ما يشهده الطب الحديث من تطورات يوما بعد يوم.

الطب الشعبي من المواضيع التي تطرق لها علماء الأنثروبولوجيا إلى درجة أنهم أسسوا فرعا خاصا يعرف باسم "الأنثروبولوجيا الطبية" من بين ما يتناوله هذا الفرع ظاهرة (الطب الشعبي) باعتباره موروثا ثقافيا، وأن إحدى الوظائف الهامة لهذا الميدان من البحث الأنثروبولوجي أن يعيد فحص الحكمة الطبية التقليدية وأساليب العلاج.

أكدت الدراسات الكثيرة أن الأفكار والممارسات التي تدخل في نطاق الطب الشعبي موجودة بدرجات متفاوتة في كافة أرجاء المجتمع، فهي تؤثر في مجال الصحة وتتحكم إلى حد كبير في نمط انتشار الأمراض وطريقة الناس في تفسير ومعالجة وابتكار الأساليب الوقائية لتفادي انتشار الأمراض كل هذا يبرز اختلاف الناس حيال هذا الموضوع بحسب اختلاف المجتمعات التي ينتمون لها والثقافات التي تشبعوا بها.

كما أن التصور الشعبي لطبيعة المرض وأسبابه، هو الذي يحدد سلوك الناس في كيفية علاجه أو الوقاية منه، فإذا كانوا يعتقدون أن المرض يعود إلى أسباب غيبية كالجن والسحر والعين، فإنهم سيلجأون من دون شك إلى "الطلبة" و"المرابطين" و "السحرة" و"الأولياء الصالحين"، والعكس إذا كانوا يعتقدون بوجود أسباب وضعية أو فيزيقية كاختلال توازن الجسد أو النفس، لذلك نجد بعض المرضى يتأرجحون بين الطب الحديث والتقليدي أو الشعبي، فقد يلجأون إلى أحدهما بشكل حصري، وقد يلجأون إليهما معا بشكل موازي، أي بشكل متبادل مما يظهر أن الطب الشعبي والأكاديمي يمثلان طرفين متنافسين على أرض الواقع الاجتماعي، حيث دلت الشواهد الميدانية أن الطب الأكاديمي رغم تطوره لم

يتمكن من ازاحة الطب الشعبي من طريقه، ذلك أن الأمر مرهون بطبيعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تحدث في المجتمع ومعتقدات الناس حول الأساليب التي يستخدمونها في طلب الشفاء.

يعيش الطب التقليدي صحوة جديدة، منذ الاف السنين، اذ قام الناس في جميع أنحاء العالم بمعالجة المرضي بعلاجات مشتقة من الأعشاب او الحيوانات، بوصفات وبطرق توارثها الأجيال، وفي افريقيا وأسيا، لا يزال 80% من السكان يستخدمون العلاجات التقليدية بدلا من وسائل الطب الحديث لأغراض الرعاية الصحية الأولية.

وفي الدول المتقدمة، يكسب الطب التقليدي قبولا متزايدا وتشير التقديرات إلى أن ما يصل إلى 80% من السكان قد جربوا علاجا تقليديا مثل الوخز بالإبر ووجدت دراسة استقصائية أجريت في وقت سابق من هذا العام أن 74% من طلاب الطب في الولايات المتحدة يعتقدون أن الطب الغربي سيستفيد من دمج العلاجات والممارسات التقليدية أو البديلة ، والحقيقة أن الطب الحديث يعاني نقصا حادا في العلاجات الجديدة؛ فالأمر يستغرق سنوات حتى يمر دواء جديد من خطوات البحث والتطوير إلى مرحلة التصنيع، كما أن التكلفة هائلة.

أدى عدد قليل من الانتصارات الكبرى إلى إثارة الاهتمام بالطب التقليدي بوصفه مصدرا لأدوية ناجحة للغاية ومربحة في الوقت نفسه، ويتمثل أشهر هذه العلاجات في الأرتيميسنتين، الذي يستخدم لعلاج الملاريا وهو يستخرج من نبات الشيح الحولي، هو المادة الفعالة لأكثر الأدوية المضادة للملاريا فاعلية والتي عرفها العالم على الإطلاق. وسمع الباحثون الغربيون بهذا المركب لأول مرة في ثمانينيات القرن العشرين، برغم أنه يستخدم في الصين منذ القدم لعلاج الملاريا , لكن الأمر استغرق حتى عام 2004 قبل أن تؤيد منظمة الصحة العالمية استخدامه في جميع أنحاء العالم وحتى في علاج السرطان.

يعد التداوي بالأعشاب صناعة رائجة في الجزائر، لكنها لم تأخذ حجمها الحقيقي بسبب عدم الاعتراف بهذا (الطب البديل)، ولا يزال المئات من أطباء الأعشاب هناك ينشطون من دون ترخيص أو اعتماد قانوني، رغم الشعبية التي يحظى بها هذا النوع من الطب والإقبال المتزايد للجزائريين على اختلاف مستوياتهم وقناعتهم للخضوع إلى العلاج الطبيعي بدلا من الكيمائي.

كما تشهد الحجامة إقبالا مطردا خصوصا بعد ثبوت فعاليتها على صعيد مداواة السرطان، وكذا الحساسية والتهابات الجيوب الأنفية والانزلاق الغضروفي، ويتفوق كبار السن على الصغار في التصنيف الخاص بأكثرية زبائن الأعشاب خصوصا مرضى السكري، وذاك منطقي لكون المخضرمين المتمسكين بعادات اجدادهم عاشوا في زمن التقاليد المحلية التي كانت ترتكز على الطب الشعبي بالدرجة الأولى.

وبشأن قانونية هذه المنتجات فان العديد من المنتجات غير خاضعة للرقابة، وليس لها أي علامة مسجلة أو علامة جودة، وهذا الغياب في التنظيم فسح المجال أمام ممارسة عشوائية للمهنة، مع غياب المؤهلات التي ينبغي على أطباء الأعشاب امتلاكها، وتتركز في ضرورة المعرفة العلمية بأسس ومبادئ وقوانين الطب، وخضوع الطبيب المعني لتكوين أكاديمي وامتلاكه شهادة معترف بها، ومعرفة تكوين الجسم البشري، ومعرفة مكونات الأعشاب وتصنيفها، ومقاديرها، وكيفية حفظ الأعشاب وتخزينها.

عكس النظرة السائدة بان التداوي بالأعشاب لا ينطوي على اخطار ثمة أضرارا جانبية مختلفة قد تؤدي إلى الوفاة، اذ توجد اعشاب متداولة لكنها سامة، كعشبة "خياطة الجرح"، "الدفلة"، و"المثنان" الخاصة بالبواسير، إذ تحتوي الثلاث عشبات على مواد سامة، لكن الناس يستهلكونها بكثرة وهو ما يعرضهم لأضرار غير مأمونة ناتجة عن الجهل باستعمال الأدوية، فهناك اناس تكون لهم حساسية جراء مكونات بعض الأعشاب، فيحدث لهم إحمرار جلدي، وتشنجات هضمية.

وتؤثر الأعشاب على الأدوية العادية، إذ إن هناك تفاعلات كيميائية، خاصة الأعشاب المعروفة بتحفيز الدورة الدموية، حيث لا تتماشي مع الأسبرين مثل" الزنجبيل، والكركديه، والزعرور"، وهو ما يفرز اعراضا جانبية، لكن أطباء الأعشاب في الجزائر يركزون على أن الحالات المتضررة من الأعشاب شاذة وقليلة، مقارنة بالأخطاء الطبية المرتكبة في المستشفيات.

الطب التقليدي :

هو مجموعة الممارسات والمناهج والمعارف و المعتقدات الطبية التي تتضمن استخدام الأدوية والأساليب العلاجية الروحانية والتقنيات اليدوية و التمارين القائمة على النباتات والحيوانات والمعادن والتي تطبق بصورة فردية أو جماعية للمداواة والتشخيص والوقاية من الأمراض والحفاظ على الصحة . وكثيرا ما يسمى الطب التقليدي الطب البديل و التكميلي . ومع ذلك تشير منضمة الصحة العالمية

أيضا الى ان الاستخدام غير الملائم للطب التقليدي أو الممارسات التقليدية يمكن أن يكون لها اثار ضارة أو سلبية و انه لابد من اجراء المزيد من الأبحاث للتثبت من فاعلية وسلامة العديد من الممارسات والنباتات الطبية المستخدمة في أساليب الطب التقليدي.

الطب التقليدي يعود تاريخه الى الاف السنين و يعتمد على العلاج بالأعشاب ، العلاج الروحاني، العلاج بالغذاء ، العلاج اليدوي .

-الطب العربي اشتهر العرب في تطوير التداوي بالأعشاب خلال العصور الوسطى حيث انتشرت أبحاث و مخطوطات مبنية على قواعد قوية و يرتكز هذا الطب على الاستشفاء بالقرآن و الرقية الشرعية و العلاج بالأعشاب الطبية و العلاج بالغذاء و على العلاج بالحجامة و الكي.

- الطب الهندي(الايورفيدا) وينظر إلى الأيورفيدا في الدول الغربية اليوم باعتبارها شكلاً من أشكال الطب التكميلي والبديل، حيث تستخدم العديد من أساليبها في هذه الدول كالأعشاب والتدليك واليوغا.

وتقوم الأيورفيدا علي فكرة التوازن في أنظمة الجسم وتعتمد علي التشخيص والنظام الغذائي و العلاج بالأعشاب والتأمل وممارسة وسائل الإسترخاء كاليوغا ليستعيد الجسم توازنه

وهكذا تم تمرير الأيورفيدا عبر القرون كنظام للشفاء التام وقد تطورت مع الوقت لتلبية احتياجات العصر وتكاملت الآن مع غيرها من الممارسات التقليدية بما في ذلك اليوجا ، و تمارس الأيورفيدا علي نطاق واسع في شبة القارة الهندية وأكثر من 90 بالمائة من الهنود يستخدمونها كشكل من أشكال الطب القديم وفي حياتهم اليومية

-الطب الصيني: يعتبر أحد أنواع الطب البديل ومنتشر في كافة أنحاء العالم، يشتمل على ممارسات الطب التقليدي التي أصلها من الصين والتي تطورت عبر ألالف السنين، يتضمن الطب الصيني عدة نظريات، تشخيصات ومعالجات كالعلاج بالأعشاب، الإبر الصينية والتدليك، الطب الصيني هو أحد أشكال ما يسمى بالطب الشرقي والذي يتضمن بعض الممارسات الأخرى التقليدية لشرق آسيا كالطب التقليدي الياباني والكوري.

<u>محاضرة8: الطقوس والمواسم ودلالاتها الاتصالية</u>

الممارسات المرتبطة بالأضرحة في الجزائر (خلال فترة الحكم العثماني):

سنتطرق لبعض المفاهيم ذات الصلة:

الضريح: لغة هو: الشق الذي يكون وسط القبر، وقيل هو القبر كله، أما اصطلاحا فبطلق على البناء المشيد على القبر (أي فوقه). ويتميز ببساطة الشكل والتصميم عادة، ولا يرقى إلى شكل العمارة الدينية كالمساجد، ولا العمارة المدنية كالقصور والمنازل.

ولا يقتصر الضريح على قبر واحد في مكان واحد إذ يمكن أن تجد عدة أضرحة لشخص واحد في أماكن متفرقة. ويمثل الضريح في العرف الشعبي رمز التقوى والصلاح، وهو مكان التماس البركة والخير والدعاء المستجاب وتنقسم الأضرحة إلى أنواع منها: ما يضم رفات صاحبه؛ ومنها أضرحة الرؤيا، وهي تلك التي تم تشييدها بعد رؤية أحد الأولياء الصالحين في المنام في موقع معين؛ والأضرحة "الوهمية" وهي التي لا تحتوي على رفات وتم إنشاؤها تبعا لرغبات سياسية أو دينية.

الولي: هو العارف بالله وبصفاته، المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي، المعصوم عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة، المحافظ على السنن والآداب الشرعية، سمي وليا لأنه يتولى عبادة الله على الدوام، أو لأن الله تولاه بلطفه وعنايته. إنه الشخص النقي الصالح الذي يحظى في حياته، وحتى بعد مماته، بتقدير واحترام الناس، ويكون من أصحاب الدين والعلم والزهد والعمل الصالح، وينقسم الأولياء حسب البعض إلى: مرابطين شرفاء بالنسب ينتمون إلى آل الرسول الكريم وأولياءه من ذوي الكرامات ويمثل الأولياء الجانب المقدس في الضريح، أي البعد الروحي المرتبط بصاحب الضريح.

ومن الملفت للانتباه أن السلطة العثمانية بالجزائر تذبذبت في اهتمامها بالمجال الصحي للسكان، فلم تكن هناك مستشفيات بالمفهوم المتعارف عليه آنذاك، وكان الأطباء في الأغلب من الأجانب سواء المستقدمين خصيصا للعلاج، أو من الأسرى والأرقاء، وكثرت الأمراض طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر، لاسيما منها الأوبئة كالطاعون والدفتيريا، وأنواع الحمى، والأمراض التنفسية وغيرها كما سادت المجاعة خلال فترات الجفاف خاصة في نهاية القرن السابع عشر، وسنة 1648 كانت تسمى "سنة الشر" .

إن الأعداد الكبيرة للمتوفين بسبب الأمراض المنتشرة، أو نتيجة للظروف السياسية المختلفة كالحروب والغارات، أو نظرا للظواهر الطبيعية (مثل الزلازل والفيضانات والجفاف...) جعلت الجزائريين يحاولون استجداء الأشخاص والأماكن للمحافظة على حياتهم وحياة ذويهم، ويتمسكون بالمعتقدات الرائجة آنذاك

من أجل شفاء المرضى وابعاد الأخطار. وكان مفهوما ذلك التواصل الوثيق بين الأحياء وذوي "القدرة" من الأموات (ويقصد بذلك أصحاب الأضرحة)، ومع مرور الوقت أصبح من باب الوفاء الالتزام بطقوس زيارة الأضرحة، حتى في فترات الراحة والرخاء كنوع من الشكر، وإبداء الامتنان، وتمني دوام الصحة والأمان والسعادة.

وقد أرجع إدموند دوتى اسباب ظاهرة زيارة الأضرحة، وتمسك المجتمعات المغاربية عموما بها، إلى رغبتهم الكبيرة في التمسك بدينهم، وقدم تفسيرا لذلك يكمن في أن عدم وجود وسيط بين الإنسان وربه في الدين الإسلامي يجعل الإنسان يبحث عن سبل لنيل مرضاة الله، ويتقرب إليه، وأنه يجد ضالته في زيارة الولي الصالح باعتبار مكانته ومستواه من التفوق والصلاح.

كما اعتبر وجود الأولياء الصالحين (الأحياء والأموات)، ومن شابههم من شيوخ ضروريا للجوء إليهم في أمورهم الدينية والدنيوية، وعليه كثيرا ما سميت المدن والقرى والأحياء بأسماء الأولياء (كسيدي بلعباس، وسيدي موسى بالجزائر العاصمة، وسيدي غيلاس...) وارتبط البعض الاخر بتلك الاضرحة "المعالم" حتى صار جزءا منها كما هو حال مدينة الجزائر وضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، الذي يعد الضريح الأشهر والأبرز ربما على مستوى الوطن.

ومن جهة أخرى مثلت الأضرحة ملجا للغرباء وعابري السبيل، وحتى الفارين من العدالة أحيانا لأنها لطالما تمتعت بالحرمة والهيبة بحيث يصعب فيها اللجوء لاستعمال القوة والعنف في تنفيذ حكم ما، أو إجبار شخص غريب على المغادرة، وارتبط الأمر بطهارة وقداسة المكان في نظر الزوار وأيمانهم بقدرة الولي صاحب الضريح على القصاص والانتقام من اي ظالم ونذكر من ذلك مثلا هروب المزوار الحاج سعدي سنة 1829 وطلبه النجاة من غضب الداي حسين واختبائه بضريح الثعالبي.

هكذا أصبحت زيارة الأضرحة والقباب مشهدا يوميا مألوفا في مختلف المناطق الجغرافية ومن طرف مختلف الفئات الاجتماعية، ترعاها السلطة متى استطاعت ورغبت، وتتجاذبها الزوايا والمرابطين وأطراف أخرى، لكن بالرغم من ذلك يصعب إحصاء عدد الأضرحة والمزارات الموجودة بالجزائر إحصاءا دقيقا يمكن أن يفتح مجال البحث لكل واحد على حدى، ومرد ذلك هو تعاقب كل من العاملين الزمني

والبشري فالأول أدى لانهيار او اندثار بعض تلك المعالم، والعامل الثاني اسهم في انتقال وتغير أماكن البعض الآخر.

إن حصر مجمل الممارسات والطقوس التي دأب الجزائريون على تأديتها عند زيارة الأضرحة (خلال فترة الحكم العثماني) تعد مهمة صعبة لعدة أسباب لعل أبرزها هو: كثرة الأضرحة نفسها، تنوعها، تباينها، وتعدد الأهداف المرجوة من الزيارة، كما أن تقديم الاعتقادات المفسرة لتلك الطقوس يعد بدوره مجالا واسعا لفهم المخيال الشعبي، وإدراك المكنونات الذهنية والنفسية، ونفهم الحاجات المختلفة.

غير أن الملاحظ في هذا الشأن هو تعلق الجزائريين آنذاك ومواظبتهم على أداء تلك "الفروض" الإلزامية، والمتمثلة في الزيارات الدورية لأضرحة الأولياء والصالحين: زيارات اسبوعية شهرية أو سنوية؛ وعدم إهمالهم لتقديم ما يتوجب عليهم من اضاحي وهدايا وغيرها، بالإضافة إلى أن هذه المظاهر اتخذت طابعا حرا في الممارسة لم يكن يرجع فيه لرجال الدين أو لرجال السلطة كما هو الحال مثلا بالنسبة للجوانب الدينية الأخرى كالفتاوى، أو الجوانب العملية كالمواريث والزكاة، كما أن كل الفئات الاجتماعية كانت تقوم بزيارة الأضرحة.

أما عن الأهداف المرجوة من القيام بزيارة الأضرحة فيمكن تقسيمها إلى:

أهداف صحية: تتمثل عادة في الشفاء من الأمراض المختلفة، وتحصيل الصحة والسلامة الجسدية، وقهر الكسل والخمول، وقد يختص ضريح ما بهذا النمط كما هو حال ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وسيدي الوالي داده، وسيدي امحمد بو قبرين، وسيدي بو القدور، وسيدي منصور وغيرهم.

أهداف نفسية: يأمل صاحبها في الحصول على الراحة والهدوء الداخلي، واتقاء الشرور، وإبعاد العين والحسد، ونيل الخير والبركة واستجابة الدعاء، وتشترك فيها تقريبا كل الفئات، وترتبط إجمالا بأغلب اماكن الزيارة.

أهداف اجتماعية: تتعدد بين طلب العون والقوة، طلب الحماية والأمان، تأمين حاجة الغرباء وعابري السبيل، وإبداء التكافل الاجتماعي، ونذكر من الأضرحة التي ارتبطت بهذا الأمر: سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وسيدي السعدي، وسيدي عبد القادر الجيلاني.

أهداف دينية: تتمثل في تحقيق الاستقرار الروحي والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة، والتقرب إلى الله عن طريق وليه الصالح.

وبخصوص الوسائل والأساليب التي تحقق هذا التواصل بين الأحياء والأموات أصحاب الأضرحة، فبدورها تنوعت، وتوزعت في طقوس خاصة نذكر منها ما كان مباشرا لا يتطلب وسيطا ما، مثل طلب الاستشفاء بالشرب والاغتسال من بئر او عين "مباركة" قد تكون تابعة للضريح، ومضغ ثمار وأوراق الأشجار المحيطة به وشرب منقوعها مثلا، ومنها ما كان بحاجة لتدخل وسيط يلبي رغبة وحاجة الزائر عن طريق منح بركة الولي الصالح صاحب الضريح متمثلة في أشكال مختلفة كالخلطات والتمائم والتعازيم والأحجبة، وهناك طقوس تمارس بصفة فردية كإشعال الشموع، ونشر البخور لطرد الأرواح الشريرة والشياطين (باعتبار ان الضريح مكان مقدس وطاهر)، والبكاء، وإطلاق الزغاريد... وقد تكون الطقوس ذات طابع جماعي كإقامة حلقات الذكر والدعاء، وترديد الأوراد والمدائح والأناشيد، وتعتبر "الزيارة" عنصرا أساسيا وضروريا في إحداث العلاقة بين الطرفين (الزائر والمزار)، وهي كل ما يمنحه الزائر للضريح من نقود وغيرها مقابل حصوله على مراده وهي بمثابة "ضمان" لتحقيق الغاية من الزيارة. وعلى الرغم من فقر غالبية الجزائريين حينها، إلا أنهم لم يبخلوا علي الأضرحة بالهدايا والهبات النقدية والعينية، وعلى رأسها الذبائح باختلاف أنواعها من غنم وبقر ودواجن وغيرها والملاحظ أيضا أن "الزيارة"، رغم كونها طوعية، إلا أنها اتخذت بحكم العرف طابعا إلزاميا.

وارتبطت "الزيارة" أيضا بـ "الوعدة"، والتي تعني وعدا بالتعهد بتقديم هدية عند تحقق امنية الزائر، وهي بمثابة نذر يلزم صاحبه بالعودة ثانية للضريح حاملا ما وعد به (في حال الاستجابة أو عدمها)، وتقديمه له لمرة واحدة، أو بالمواظبة على ذلك عدة مرات أو بشكل دوري.

وكان حضور فكرة الاعتقاد ببركة وقدرة الأولياء الصالحين واضحا جدا في كل مناحي الحياة اليومية وراسخا في أذهانهم لدرجة استحضارهم لاسم احدهم في الأحاديث والتجمعات العادية والخاصة، والقسم به (وحق سيدي فلان، بجاه سيدي فلان...)، والدعاء على الخصوم باسمه أيضا، بل إن المتسولين كثيرا ما رددوا عبارة "صدقة بجاه سيدي فلان" ولم تخل الكتابات على مختلف المنشآت كالمساجد والمدارس والزوايا وحتى على شواهد القبور من جملة "نفعنا الله ببركة سيدي فلان".

وكانت التوصية بالدفن قرب أحد الأضرحة منتشرة كثيرا في تلك الفترة حيث يعمد الشخص الراغب في ذلك احيانا إلى شراء قطعة أرضية محاذية للمكان، ويوصي بضرورة دفنه فيها، أو يتم تخصيص وقف لقراءة القرآن على المكان والمدفونين فيه، ولصيانة القبور.

إنه ظاهرة زيارة الأضرحة تقع في جزء كبير منها عن تقديس لقوى خفية "خارقة"، لكنها أيضا مثلت فضاء حرا للتنفيس عن الضيق النفسي، ومجالا للتواصل مع الناس بواسطة إقامة الحفلات والسهر والرقص (خاصة في المواسم حين تكون الزيارة جماعية) ، وكانت مناسبة الاستحضار مآل الإنسان في حال استقامة سلوكه وقيامه بالعمل الصالح، حيث سيبقى ذكره خالدا رغم فناء جسده، وهي فرصة للترحم على الأجداد والتنويه أحيانا بخصالهم الحميدة. ثم إن طبيعة تلك السلوكات عكست تماما مستويات الإدراك النفسي والعقلي وانماط التفكير الجمعي للجزائريين حينها، وكان للخرافة حيز مهم في الذاكرة الجماعية المرتبطة بتقديس القوى الخارقة، من ذلك مثلا انتشار فكرة مرافقة الدراويش للرياس في غزواتهم البحرية كنوع من التفاؤل بهم، ولكن في كثير من الأحيان كانوا يعودون بحكايات وروايات عن رحلاتهم تلك وتدريجيا تسع دائرة الحديث عن كرامات هؤلاء الدراويش في تلك الرحلات.

وتجدر الإشارة إلى أن فنون الشعر الشعبي والمدائح وغبرها قد رافقت ظاهرة زيارة الأضرحة وسجلت حضورها وتأثيراتها على نفوس الجزائريين وسلوكاتهم، وأثرت بالمخيال الشعبي المتداول عن بطولات الأولياء الصالحين وكراماتهم وبركاتهم على مر السنين، ولاشك أن الدارس لتلك النصوص (وخاصة القصائد المنظومة منها) يجد فيها الكثير من الدلائل التاريخية على العلاقة الوطيدة التي ربطت أفراد المجتمع وجذبتهم إلى عالم الأموات– الأحياء، وحضورهم المستمر وكأنهم يعيشون ويتقاسمون معهم انشغالاتهم وهمومهم، ويلاحظ ايضا في هذا الخصوص أن كل الخصومات تزول داخل المكان المقدس للضريح، وتذوب الفوارق الاجتماعية بين الناس، ويتساوى الكل امام حضرة صاحب الضريح، على الرغم من اختلاف المقاصد والأهداف والممارسات بينهم، ولم تسجل المصادر أي نوع من أنواع التخاصم والتنابز والشجار داخل الضريح.

الاعتقادات والطقوس حول زيارة الأضرحة:

القدرة على الحماية، وتوفير الأمان للسكان، ورد الأعداء.

الشفاء من الأمراض المختلفة الجسدية منها والنفسية.

استجابة الدعاء ومنح البركة وحصول الخير والسعادة.

القدرة على تلبية مختلف الحاجات مثل الزواج، الانجاب، عمل...الخ.

دفع الشرور من حسد وبغض ومس الشيطان والعين...الخ.

المحاضرة 9:الممارسات اللغوية في الجزائر

اللغة العربية في الجزائر

كباقي الدول العربية ليس هناك من يتكلم العربية الفصحى في الشارع الجزائري إلا في الإعلام كالصحافة و التلفزيون أو في التعليم الجامعات و المدارس القرآنية و المساجد أو هيئات الدولة كالدبلوماسية أو في الاقتصاد كالكتابة على السلع و المراسلات الرسمية . و هي مدرجة في البرنامج التعليمي من السنة الأولى دراسي. يتحدث اللهجات العربية المختلفة حوالى 72% من مجموع سكان الجزائر . ويفهم أغلبية السكان بنسب متفاوتة العربية الفصحى. وفي الجزائر ، فإن اللغة العربية المستخدمة في التحدث تختلف كثيرا عن تلك المستخدمة في الكتابة. ومجموعة مفردات متغيرة بشكل كبير، وتتضمن في داخلها اختلافات هامة، فاللهجة الجيجلية، على وجه الخصوص، جديرة بالملاحظة حيث يتم استبدال نطق حرف (القاف) بحرف (الكاف). بالإضافة إلى كثرة الكلمات المستعارة من اللغة الأمازيغية، كما تظهر اللهجات الساحلية التأثير الذي وقع عليها من اللهجة الأندلسية القادمة مع اللاجئين من الأندلس .وتعتبر اللهجة الجزائرية جزء من مجموعة اللهجات المغاربية. وفي الصحراء الكبرى يتم التحدث بالكثير من اللهجات البدوية القديمة التي تندرج تحت أسم اللهجة الصحراوية، إلى جانب استخدام بعض اللاجئين الصحراويين في مدينة تندوف للهجة الحسانية.

و قد استخدم معظم اليهود في الجزائر لهجات عربية خاصة بهم مجمعة تحت اسم" العربية اليهودية." و بعد استقلال الجزائر عام 1962 كانت العربية تدرس فقط بالمدارس القرآنية و الزوايا أو المدارس التي كانت تديرها جمعية العلماء المسلمين و هي قليلة فقررت الحكومة الجديدة تحت رئاسة أحمد بن بلة بتعميم تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية و محاولة الرفع من مستوى اللغة العربية فاستعانت بمعلمين من المشرق العربي خصوصا مصر وسوريا ولكن يقول مارتن ريج كوهين الكاتب في صحيفة تورنتو ستار" أن معظم المعلمين لم يكونوا مؤهلين. وفي عام 1963 كان عدد من يستطيعون قراءة اللغة العربية يقدر بـ 300.000 من اصل 1.300.000 متعلم. و يشير محمد بن رباح مؤلف كتاب "بقاء اللغات و انتشارها اللغة الفرنسية في الجزائر" إلى أن خلال ذلك العام كانت الكفاءة اللغوية

في اللغة العربية الفصحى ضعيفة. وتضيف مليكة الرباعي معامرى "بالرغم من حلول عام 2009 إلا أنه لا يوجد اتقان اللغة العربية حتى في المراحل التعليمية المتقدمة" و أن " اللهجات العربية لا يمكنها إبراز الأفكار في الكتابة.

ومع حلول عام 2012 بقيت أجيال الاستعمار الفرنسي لا تتقن اللغة العربية بالرغم من توفير الدولة لدورات تعليمية و فتح أقسام لمحو الأمية.

كما يتكلم قسم من الجزائريين الأمازيغية بشتي لهجاتها في العديد من مناطق البلاد وهي تتمركز بشكل ملحوظ في منطقة القبائل و جبال الأوراس كما يستخدمها الطوارق (أمازيغ الصحراء) في الصحراء الكبرى. و كانت تستخدم اللغة الأمازيغية في عموم الجزائر حتى قدوم الفينيقيون ، حيث شهدت تلك المرحلة استخدام كتابة التيفيناغ. و على الرغم من انتشار البونيقية و اللاتينية و العربية فيما بعد إلا أن اللغة الأمازيغية ظلت اللغة الأساسية للجزائريين حتى هجرات بنو هلال في القرن الحادي عشر.

و يتحدث الجزائريون واحدة من لهجات اللغة الأمازيغية، حاليا اللغة العربية هي اللغة الرسمية للجزائر مع تكريس اللغة الأمازيغية لغة قومية في التعديل الدستوري الأخير.

و تتضمن اللهجة الأمازيغية المستخدمة في الجزائر الآتي:

في الشمال

اللهجة القبائلية: و يتحدث بها 5 ملايين شخص معظمهم في منطقة القبائل و المناطق المحيطة بها و ذلك لهجرة القبائليين خارج منطقة القبائل والجزائر الذين يقدر عددهم ب 8 ملايين شخص.

الشاوية: يتحدث بها 4.000.000 شخص في جبال الأوراس

أمازيغية البليدة: و تستخدم في ولاية البليدة.

لهجة مطماطة و تستخدم في بعض قرى منطقة الونشريس.

في أقصى الشمال الغربي

بني سنوس و بني سعيد هما لهجتا اللغة الأمازيغية المستخدمتان في قرى مختلفة في مدينة تلمسان.

في الصحراء الكبرى

لهجة تومزابت: وتستخدم في منطقة مزاب.

لهجة توات و جورارا (و يطلق عليها موقع إثنولوج اسم" تزناتيت" ولكن هذا الاسم يستخدم للدلالة على معظم لهجات قبيلة زناتة).

لهجة بلدية تقرت و بلدية تماسين.

اللهجة الطوارقية للمتواجدين بجبال الهقار.

اما اللغة الفرنسية فهي لغة التواصل المشترك في الجزائر و هي جزء من المناهج التعليمية المتقدمة ، كما انها مستخدمة بشكل كبير (يجيد كل جزائري تمدرس في المدارس الحكومية و وصل للثانوية القراءة والكتابة باللغة الفرنسية ، و الباقي يتحدثها و يفهمها على العموم). و تشير تقديرات إثنولوج أن 111.000 شخص يتحدث بالفرنسية كلغتهم الأصلية معظمهم من الأوروبيين الذين سكنوا او ولدوا في المغرب العربي عموما و في الجزائر خصوصا إبان الاستعمار الفرنسي (الأقدام السوداء)، أو ممن تربوا في كنف المتحدثين بالفرنسية. و يتميز ثلثي الجزائريين بأن بعضهم على دراية عالية باللغة الفرنسية و نصفهم يستخدمها كلغة ثانية. و تستخدم اللغة الفرنسية بشكل كبير في الإعلام والتجارة، كما تستخدم يوميا على نطاق واسع في المدن الكبيرة بشكل مزدوج مع اللهجة الجزائرية للغة العربية (ازدواجيه لغوية).

و تقول مليكة الرباعي معامرى مؤلفة كتاب (متلازمة اللغة الفرنسية في الجزائر) أن "اللغة الفرنسية مازالت اللغة المسيطرة على الأعمال و الدوائر المهنية و أن من المذهل استمرار وجود تخصصات معينة في التعليم الرسمي و الأبحاث تتم باللغة الفرنسية ، بالإضافة إلى هيمنة اللغة الفرنسية على قطاع اقتصادي كبير و قطاعات الصناعة و الصحافة.

و تعتبر اللغة الفرنسية هي اللغة الأجنبية الأكثر دراسة في الدولة ، ويستطيع أغلب الجزائريين فهمها والتحدث بها على الرغم من عدم استخدمها عادة في الحديث اليومي و منذ اعلان استقلال الجزائر تحاول الحكومة اتباع سياسة تعريب التعليم في المراكز الحكومية ما جعل أنصار الأمازيغية يطالبون بإدراجها في الاستعمالات الرسمية مثلها مثل العربية . تأثرت اللغة الفرنسية في الجزائر بعد سياسة التعريب و أشعلت صراعات ثقافية بن الجزائريين.

أن الجانب الازدواجي طبيعي في كل اللغات ففي كثير منها تقريبا هناك لغة كتابة ولغة حديث وهذا ما ينطبق على اللغة العربية التي تتفرع عنها الدارجات ولكنها في تكامل وظيفي وقد بين لنا هنا صالح بلعيد تفرع اللغة الدارجة أي العامية عن لغتها الام الفصيحة ثم أوضح أن وظيفتها لا تكاد تكون سوء وظيفة ومهمة تكامل , ما يوحي لنا أن العربية الدارجة لا تنافس الفصحى في أي حال من الأحوال هذا

ويضيف في تحليله موضحا أن".. للعاميات العربية مستوى ادنى من مستوى اللغة الفصحي وتتعدد اداءاتها فقط " ويعني به آنها لغة لا تخضع للقواعد التي خضعت لها العربية الفصحى.